الفصل الخامس

ثورة الاستقلال اليونانية وأثرها على السكريتيين

ظلت الجزيرة تحت سلطان العثمانيين زمناً يربو على قرن ونصف قرن ، وقد تميز ذلك العهد بفساد الحكم واضطراب الأمن ، وسوء الإدارة مما أدى إلى نشر الرعب وإذاعة الفزع حتى عم الجوع وكثر الموت ، وفقدت الجزيرة سكانها(١) وخربت قرى سهل « مسارا » بضروب من المحن فخرب أكثرها ، وقضى على أكثر سكانها(٢) بسبب اندلاع الثورات يقوم بها الوطنيون بين الحين والحين ابتغاء حرية العيش ، والخلاص من الظلم والجوع والخوف ، واشتد الكرب على أهل الجزيرة منذ عام ١٧٧٠ عندما قام الإسفاكيون(٣) بثورتهم فغلبوا على أمرهم ، وخربت ديارهم وبالغ الأتراك فى اضطهادهم ، فلجأ أكثرهم إلى الفرار، يعتصمون بالجبال ، ويتحينون الفرص للانقضاض على العدو وانتقاماً لأرزاقهم وأعراضهم وصرعاهم ، ولم ير سكان الجزيرة من الوطنيين فترة أشد نكراً وظلاماً من تلك الفترة بين عامى ١٧٧٠ و١٨٢١ ، فلم تكد تذر حرب الاستقلال اليونانية تبدو فى آفاق الحياة حتى بات سكان الجزيرة يمدون آمالهم إلى حياة أفضل ينشدونها

---

(١) وليس أدل على ذلك من أن تفقد « فينراتو » Venerato (القرية الوحيدة التى احتفظت باسمها الإيطالى) من أسرها البالغ عددها مائتين ، ١٨٥ أسرة ، وتفقد قرية « هاجيوميرو » Hagio Myro من أسرها السبعين ، ٦٧ أسرة ، كما فقدت قرية « بيجيه » Péghé ثلاثة أرباع أسرها (من ١٦٠ إلى ٤٠ أسرة) ومثلها قرية « روغديا » Rhogdhia لم يبق من أسرها الثمانين سوى ٢٥ أسرة فقط .
Pashley, Vo. I, pp. 232-233
Ibid, Vol. I, p.234; *Ibid*, Vol. II, p. 115; *Ibid*, Vol. I, p. 259

وعند ما زار « باورنج » Bowring الجزيرة فى عام ١٨٣٧ لاحظ أن آثار التخريب والدمار الذى حل بأنحاء كثيرة من الجزيرة أثناء ثورة الاستقلال اليونانية لا زالت قائمة فى بعض الجهات
Bowring, *Report*, London 1839, p. 155.

(٢) Pashley, Vol. I, p. 291.

(٣) أنظر ملحق رقم (٣) الخاص بالأسفاكيين .

بين هزيمة الأتراك وانتصار اليونانيين ، فلم يلبثوا حتى تأثروا بهم فانتظمت فرق الثوار فى الجزيرة من أهل السهل والحزن وأخذوا يشترون أسلحة الحرب من بلاد اليونان(١) وكان الإسفاكيون وسكان الجبال بصفة عامة سباقين إلى الاشتراك فى هذه الثورة فأسهموا جميعاً فى قضية استقلال اليونان إذ اضطروا تركيا إلى توزيع قواتها بين بلاد اليونان وكريت(٢) . ولما احتدم القتال بين الفريقين عام ١٨٢١ ، وكانت الغلبة للوطنيين فى كل بقاع الجزيرة حاشا بقاع « أبوكرونا » Apokorona(٣) ذلك لأن أهل خانية وضواحيها عندما خانوا ثورة الإسفاكيين وأهالى « ريزو » Rhizo راحوا يستصرخون المسلمين فى شرق الجزيرة ووسطها ، وخرجوا يبغون نصراً كذلك الذى أتيح لهم عام ١٧٧٠ ، وحذرهم حاكم الجزيرة العثمانى يومئذ وهو شريف باشا من العدوان على المسلمين من رعايا الجزيرة إلا أنهم حين عودتهم استباحوا لأنفسهم دماء المواطنين بغية الانتقام لهزيمة إسفاكية ، فقتلوا من الوطنيين العزل كل من وجدوا فى طريقهم وساقوا من لقوا من النساء والأطفال فى ركابهم . فخانوا بذلك عهداً قطعه الحاكم على نفسه لعزل المسالمين من أهل الجزيرة ، وفعلوا ما كان يفعله الانكشاريون من قبل ، ونسوا أن ذلك مستعجل أجلهم فى الجزيرة ، ومقصيهم عنها بعد حين(٤) .

اشتداد ثورة الوطنيين :

ولم يفت ذلك فى عضد الثوار الوطنيين ، فاستأنفوا كفاحهم فى سبيل الحرية

---

(١) أنظر Softazadé ص ١٩ — ٢٣ لتتبع مدى تأثير ثورة اليونان فى ثورة جزيرة كريت .

(٢) La Roche, pp. 112-113

(٣) A. Politis, *Les Rapports de la Crèce et de l'Egypte (1833-49)* pp. X-XII. كذلك يشير « بيرو » Perrot ، ص٢٠٢—٢٠٥ إلى بعض ما أنزل الوطنيون بالأتراك من صنوف التعذيب والتنكيل أثناء تراجعهم .

(٤) Pashley, Vol. I, pp. 301-302.

فلما استفحل أمر الثورة فى ١٨٢٢ ، اضطر الأتراك إلى الاعتصام ببعض القلاع(١) ومن بينها قلعة « كيسامو » التى لم تلبث غير قليل حتى سقطت فى أيدى الوطنيين بعد أن مات فيها كثير من العثمانيين جوعاً ومرضاً ، وبات العثمانيون يعانون أزمة الجوع والمرض ، وينتظرون أجلهم فى الجزيرة . وليس أدل على ذلك من أن قندية رضيت التسليم ، فأخذت تفاوض عليه الأعداء الذين شد النصر أزرهم ، وباتت الظروف السياسية تعينهم عليه من جميع أقطارهم . فالروس يهددون العثمانيين فى حوض الدانوب ، على حين تفتقر قوات العثمانيين فى كافة بلاد اليونان إلى قيادة رشيدة ، وعلى ما يلزمها من المؤن والذخائر ، كل ذلك فضلاً عما حاق بهم من المحن والمصائب : مصائب الهزيمة والجوع والعلل الفتاكة تدفعها إلى الموت دفعاً قوياً(٢) .

أزمة الحكم العثمانى فى الجزيرة والتجاء السلطان إلى محمد على :

ولما بلغ الأمر حد ما وصفنا من فساد الحكم واضطراب الأمن ، بحيث لم يصبح بادياً فى الأفق غير تحول الحال وسوء المآل ، لم يجد السلطان العثمانى بداً من الالتجاء إلى مغامر شجاع حازم من رجال الدولة . وتلفت فلم يجد من حوله غير واليه على مصر محمد على ، فطلب إليه أن يستعد لقمع ثورة اليونانيين من ناحية ، وإطفاء ثورة الجزيرة من ناحية أخرى . كما عهد إليه إن هو نجح فى الجزيرة بإعادة تنظيمها ، والقيام على حسن إدارتها . واستجاب محمد على لرغبة السلطان فعهد إلى واحد من خاصة رجاله يقال له « حسن باشا » وأمره على جيش وبعث به إلى الجزيرة(٣) .

---

(١) Driault, *op.cit.*, p. XII.

(٢) Perrot, pp. 200-201.

(٣) دفتر ٧ معية تركى ، ترجمة التلغراف التركى رقم ٣٠٠ من الجناب العالى إلى ولده ابراهيم باشا فى ١٩ من ذى الحجة ١٢٣٦ (الموافق ١٦ سبتمبر ١٨٢١) ، أنظر التوقيعات الإلهامية فى مقارنة التاريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية ، اللواء المصرى محمد مختار باشا ، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق ١٣١١ هـ (١٨٩٣ — ١٨٩٤) .

تدخل محمد على :

اغتبط محمد على بذلك الأمر أشد الاغتباط ووجد فى تنفيذ رغبة السلطان فرصة مواتية لتحقيق آماله فى الظهور على مسرح السياسة الشرقية فى صورة البطل المسلم الزائد عن حياض الإسلام وحامى حماه ، فأخذ يختار صفوة جنوده ، وأشجع قواده للزحف على الجزيرة(١) .

ويبحر القائد حسن باشا على رأس قوة يبلغ عسكرها حوالى ٤٤٠٠ من المشاة ، وأربعمائة من الفرسان ومعهم كل ما يلزمهم من الخيل والذخيرة(٢) . ويبلغ القائد بجيشه ثغور الجزيرة فيبلون فى مقاتلة الثوار بلاء حسناً ، فهو يصرف الحصر عن خانية ، ويقاتل الثوار قتالاً دامياً فى « رسمو » ثم هو يحرز على الثوار كثيراً من الانتصارات(٣) ولا يلبث موقف الحملة أن يتحرج عندما يهبط من الجبال رجال ينضمون إلى إخوانهم فيبلغ عدد الثوار نحو عشرة آلاف، فيحملون على قندية و يميلون عليها ميلة واحدة ويشتد القتال ساعات فى « فانلى أوه » أى « الصحراء الدامية » ويتمكن الثوار من حرق الزروع ، وتخريب مجارى المياه ويرى قائد الحملة حسن باشا حرج الموقف كما يرى ألا سبيل إلى إخماد الثورة والسيطرة على الموقف إلا بضرب الحصار حول ثغر إسفاكية ، فهو فى نظره مهب العواصف فكتب إلى محمد على يطلب إليه المدد ، و يعده هذا بما يريد إذا ما انتهت أيام الشتاء وحل الربيع(٤) فقد كان يخشى إن هو فعل قبل ذلك أن تعوزه سفن الحرب يحرس بها المدد ولم يكن يومئذ يملك إرسالها وبات محمد على يبذل غاية

---

(١) Perrot, pp. 201-202.

(٢) دفتر ١٠ معية تركى ، مكاتبه رقم ٢٦٣ ، عريضة مقدمة إلى مقام الصدارة فى غرة رمضان ١٢٣٧ الموافق ٢٢ مايو ١٨٢٢ .

(٣) دفتر ١٠ معية تركى ، مكاتبة رقم ٢٦٦ ، من حسن باشا القائد العام بكريت إلى الجناب العالى فى ١٣ ذى الحجة (٣١ أغسطس ١٨٢٢) .

(٤) دفتر ١٠ معينة تركى ، الأمر الكريم رقم ٤١٤ إلى قائد الجيش المصرى بجزيرة كريت ١٥ صفر ١٢٣٨ (أول نوفمبر ١٨٢٢) .

الجهد فى إعداد العدد وتوفير الذخائر حتى كملت بين يديه حملة الجنـد ، بلغ عددها حوالى أربعة آلاف(١) .

وفى انتظار وصول المدد لم يبق قائد الحملة بغير عمل ، ولـكنه استأنف أعماله الحربية فى حذر وحزم وبعد نظر ، حارب فى «بره بتره» و«مرابيلا» و «لاشيد» فى نواحى قنديه كما أحرز بعض الانتصارات عند كهوف الجبال حيث كان يعتصم الأسفاكيون(٢) .

لم يستطع محمد على أن يرسل المدد إلى كريت قبل بداية الصيف ، ذلك لأن بعض سفائنه الحربية كانت قد تأخرت فى ميـاه قبرص ، فلما عاد بادر بإرسال المدد ، وكان قوامه ٤٥٠٠ مقاتل معبئين فى خمسة وثلاثين سفينة وذلك فى مطلع شهر يونية من عام ١٨٢٣(٣) .

ولم تـكد القوات المصرية تبلغ ثغور الجزيرة حتى داهم الموت حسن باشا ، فتوفى فى ١٧ يونيو عام ١٨٢٣ ففقد الجيش المصرى بموته الحزم والتدبير ، وباتت قلعة قندية معرضة للخطر يداهمها من جميع أقطارها ، وبات أهلها فى أشد الحاجة إلى المؤونة وبخاصة حينما اشتدت عليها وطأة الهجوم من جانب اليونانيين بعد أن ازدادوا ألفاً جاءوهم من المورة مسلحين بستة مدافع فنزلوا فى كيسامو(٤) .

هنالك بادر محمد على بتعيين قائد جديد اسمه « حسين بك » وكان قائداً للعسكر غير النظامية وكان كما جاء فى سيرته من القواد الأماجد(٥) فزوده بمائتين

---

(١) دفتر ١٣ معية تركى ، المكاتبة رقم ٣٠ من الجناب العالى إلى نجيب أفندى فى ٩ من جمادى الأولى ١٢٣٨ (٢٢ يناير ١٨٢٣) .

(٢) دفتر ١٤ معية تركى ، المكاتبة رقم ٩٠ إلى وكيل جيش العساكر المصرية فى كريت فى ٢ من رمضان ١٢٣٨ (١٣ مايو ١٨٢٣) .

(٣) دفتر ١٣ معية تركى ، المكاتبة رقم ١٠٩ إلى نجيب أفندى فى ٢٠ رمضان ١٢٣٨ (٦ يونية ١٨٢٣) .

(٤) دفتر ١٤ معية قركى مكاتبة ١١١ وإلى جدة فى ٢٨ شوال ١٢٣٨ (٨ يوليو ١٨٢٣).

(٥) دفتر ١٤ معية تركى، مكاتبة ١٦٢، ١٦ من ذى الحجة ١٢٣٨ (٢٤ أغسطس ١٨٢٣).

من السوارى وخمسين من القواسين ، كما عين معه يوسف أغا كتخذاً للجيش . وأقلعت الحملة مزودة بذخيرتها وجيادها من ثغر الاسكندرية فى ٢٦ من أغسطس سنة ١٨٢٣ وكان محمد على باراً بالفقراء الذين نكبوا من أهالى قندية وخانيه ورسمو « فأمدهم مع الحملة بمئونة وفيرة »[١] وكتب محمد على إلى عثمان باشا وإلى قنديه وسر عسكر الجزيرة ينبئه بتعيين القائد الجديد ويظهره على مهارته وحسن تصرفه وأمله فى قدرته على القضاء على الثوار ثم يوصيه بمشاورته والاطمئنان إلى آرائه فى إدارة المعارك وتوجيه الحملات ويطلب إليه معاونته على أداء مهمته[٢] .

اهتمام محمد على بالأمور الإدارية فى الجزيرة :

وتبين محمد على بعد لأى أن إعادة الأمن فى الجزيرة وأحكام السيطرة عليها لايقتضى الامداد بالقوات مزودة بالقيادة الحسنة وحسب وإنما يقتضى كذلك إعادة النظر فى شئون الجزيرة من الناحية الإدارية وتزويدها بجهاز من الكفايات الإدارية يعينها على الوصول إلى حياة أفضل . فبادر إلى الاستعانة بنجيب أفندى لاتخاذ الإجراءات نحو نقل عثمان باشا إلى خانيه وإحلال لطف الله باشا حاكم خانية مكانه على قنديه وإسناد سر عسكرية الجزيرة إليه[٣] على أن ذلك لم يتم إلا بعد عام يشير إلى ذلك كتاب التهنئة الذى بعث به محمد على إلى محافظ قندية الجديد يهنئه فيه بمنصبه هذا وبإسناد ولاية كريت إليه ، وجعل سنجق خانية تحت سلطانه[٤] .

(١) دفتر ١٣ معية تركى مكاتبة ١٦٩ إلى مقام الصدارة العليا فى ١٩ من ذى ١٢٣٨ (٢٧ أغسطس ١٨٢٣) .

(٢) دفتر ١٣ معية تركى ، مكاتبة ٢٠٥ إلى الباشا وإلى قندية وسر عسكر كريت فى ٢١ محرم ١٢٣٩ (٢٧ سبتمبر ١٨٢٣) .

(٣) ظاهر من الاطلاع على الوثائق أن قندية كانت أهم معاقل الجزيرة وأن موظفيها كانوا أوفر حظاً من الناحيتين الأدبية والمادية من أمثالهم فى خانية وبقية معاقل الجزيرة ، وقد أشار محمد على نفسه إلى ذلك ، أنظر دفتر ١٣ معية تركى ، مكاتبة ١٨٧ من محمد على باشا إلى نجيب أفندى فى ٣ محرم ١٢٣٩ (٩ سبتمبر ١٨٢٣) .

(٤) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٦١١ فى ١٤ ربيع الأول ١٢٤٠ (٦ ديسمبر ١٨٢٣).

محمد على يستحث القوات المصرية على الهجوم :

وكتب محمد على إلى القائد الجديد ومن معه من الضباط يستحثهم على المبادرة بالهجوم ويذكرهم بما أحرز أسلافهم فى عهد حسن باشا من أمجاد بسبب شجاعتهم النادرة ، وأقدامهم فى غير تردد ، وقدرتهم على القتال ، ويوصيهم بأن ثورة الكريتين قد آن لها أن تنطفىء نارها بعد أن ظلت مندلعة ثلاثة أعوام ، ويبلغهم أسفه واستياءه من أنباء ما قد سمع عن ارتداد بعض القوات المصرية المهاجمة تحت إمرة حسين بك بحجة إنقطاع الماء فى الجبال ، مع علمهم بأن أسفاكية كانت أخطر أوكار الثوار ، وألا سبيل إلى إطفاء نار الثورة إلا بإسقاطها والاستيلاء عليها ، فلا ينبغى لهم أن يترددوا فى الهجوم عليها أو يحجموا عنه مهما كانت الظروف وأيا كانت الأسباب ، فقوتهم تزيد على تسعة آلاف ، ومعهم خيرة الضباط والقواد ، ثم يحذرهم آخر الأمر من الإبطاء أو التواكل أو الإهمال وأنهم محاسبون على كل ذلك — إن فعلوا — حساباً عسيراً ، وجزاء من يبطىء منهم أو يهمل أن يسجن فى قلعة أبى قير مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أعوام[1] — وكان لهذه الرسالة أثرها الواضح فى تنشيط الجيش المصرى وإثارة همته ، إذ لم يلبث تحت قيادة حسين بك حتى هاجم الثوار فى أخطر أوكارهم وأمنعها باسفاكيه ، فاستولى عليها ، واستولى على ما حولها من قرى بلغ عددها خمساً وعشرين ، ثم وضع يده على أربع سفن للأسفاكيين كانت راسية بثغرها ، وتم له القبض على من كان فيها من الثوار بآخره[2] .

هنالك بادر محمد على فبعث إلى الصدر الأعظم يبشره بذلك الفوز العظيم ، وينبئه بأن الاستيلاء على أسفاكية قد أطفأ نار الثورة ، وحقق استتباب الأمن

---

(١) دفتر ١٣ معية تركى ، مكاتبة ٢١٢ من الجناب العالى إلى حسين بك قائد العسكر المصرية بكريت ٩ ربيع الأول ١٢٣٩ (١٣ نوفبر ١٨٢٣) .

(٢) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة ٣٤٥ إلى محمد على باشا متصرف طرابلس بالشام فى ٤ شعبان ١٢٣٩ (٤ ابريل ١٨٢٤) .

فى الجزيرة ، وأن سكانها أقبلوا على قائد الجيش من كافة أنحائها يعلنون إستسلامهم ويطلبون الحماية .

وأراد أن يطمئن الصدر الأعظم بنتائج أعماله ، فبعث إليه بما بتك من آذان العصاة الثوار وعددها ثمانمائة زوج[١] كما بعث أخيراً إلى قائده فى كريت حسين بك ، يثنى عليه الخير لنجاحه فى الاستيلاء على المواقع الهامة مثل « ميلوبوطامو » و « آجى صو » و عاصى قونية » و « اكسيفوز » و « أنابولى » و « أسفاكية » و « كيسامو » و « سلنه » ثم على قتله العصاة الثوار وإنزال العقاب بهم ، ثم بحثه بآخره على مواصلة الجهاد حتى ترفرف أعلام النصر والهدوء على الجزيرة الثائرة ، ويوصيه ويوصى الباشوات الثلاثة المحافظين فى كل من قنديه ، وخانية ، ورسمو بحماية من يطلبون الأمان من سكانها[٢] .

وإذا تبين محمد على بعد لأى أن جنوده فى الجزيرة يسيئون التصرف باعتدائهم على ديار الوطنيين وتخريب مساكنهم ، وقلع زروعهم وحرق محاصيلهم بحجة أن أموال غير المسلمين مباحة وغنيمة لهم ، أرسل إليهم يحذرهم من السلوك الهدام ، ويلومهم على تلك السياسة الحمقاء ويذكرهم بأنه إنما بعث بهم على تلك الجزيرة ليطفئوا فيها نار الثورة ويرفعوا فوق ربوعها أعلام السلام . ولينشروا فيها العدل ويعدهم إن هم سلموا إليه الجزيرة عامرة ، مسالمة آمنة — بالثناء على جهودهم بخير ما يستحقون[٣] . وكان الرجل شديد الخوف على قواده وعسكره من أن تغلب عليهم روح الانتقام من أهل الجزيرة فيخونوا عهدهم الذى قطعه لأهل الجزيرة وقطعوه على أنفسهم بالأمان ، فواصل إرسال كتبه إلى سائر القائمين على

---

(١) دفتر ١٤ معية ، مكاتبة ٣٥٠ إلى الصدر الأعظم فى ١٩ شعبان ١٢٣٩ (١٩ أبريل ١٨٢٤) .

(٢) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣٦٢ إلى حسين بك قائد الحملة بكريت فى ٥ من رمضان ١٢٣٩ (٤ مايو ١٨٢٤) .

(٣) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣١٦ منشور عام بتاريخ ٢٠ من رجب ١٢٣٩ ٣ من مارس ١٨٢٤) .

أمر الجزيرة من القادة والعسكر ورجال الإدارة يذكرهم بذلك العهد ويوصيهم بالوفاء به ويحذرهم من انتهاك الحرمات ، وينبههم إلى أن خيانة العهد مشينة بكرامة الباب العالى[١] ثم يكتب إلى عثمان باشا محافظ قندية مرة أخرى يوصيه بتأمين العصاه ممن سلموا وطلبوا الأمان وكان قد ارتاع من رد هذا الأخير حين أنبأه بأن الأمن فى الجزيرة لا يمكن أن يستتب إلا بعد سنوات عشر بسبب ما انطوت عليه صدور أهلها من كراهية وبغض للمسلمين الذين غزوهم فأذلوهم فى دينهم حتى باتوا يصرون على مواصلة القتال ، ذلك مع العلم بأن قائده فى الجزيرة حسين بك ووكيله على إدارة شئونها مصطفى بك قد أنبآه بأنهما نجحا فى إخضاع الثورة كل النجاح واستوليا على ما كان فى أيدى الثوار من سلاح ثم أودعاها ما كان يملكان من قلاع[٢] وينفذ القائمون على أمر الجزيرة أوامر محمد على فيوزعون ما بين أيديهم من قواته على جهات ثلاث ، بحيث يتوجه كل فريق منها وجهته فيجمع من الرعايا كل ما كان فى أيديهم من سلاح ويسلمه محافظ الإقليم إلى أقرب قلعة ، وقد أخذت قوات كل فرقة عهدها على عمدة كل قرية أن يسلم كل ما فى قريته من سلاح فإن هو خالف أصبح رهينة لدى القوات المصرية حتى تسوى أمور قريته[٣] .

محمد على يحذر ويوصى :

ويحذر محمد على قواته المرابطة فى الجزيرة من أن تخطىء فتستخدم ما جمع من أهلها وما صودر من سلاح ، وإنما يجب أن يودع القلاع ، وللقواد بعد ذلك

---

(١) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣٦٣ إلى حسين بك قائدالحملة على كريت فى ٥ رمضان ١٢٣٩ (٤ مايو ١٨٢٤) .

(٢) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣٩٧ إلى عثمان باشا محافظ قندية فى ٢٧ رمضان ١٢٣٩ (٢٦ مايو ١٨٢٤) .

(٣) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٤٢٥ من الجناب العالى إلى الصدر الصدر الأعظم فى ٢١ شوال ١٢٣٩ (١٩ يونية ١٨٢٤) .

أن تطلب ما يعوزها من سلاح[١] . وكان غرضه من ذلك واضح فهو يكره أن يثير نفوس الناس بعد ما هدئت إذا ماهم رأوا سلاحهم مصوباً إلى صدورهم من أيدى أعدائهم .

ثم هو يوصى محافظ قنديه بألا يتعجل أمر تعيين ضباط على القرى التى جنح أهلها للسلم وأعطوا الأمان وألا يتعجل فى فرض ضرائب الأعشار وكانت من حق الملتزمين وأصحاب المقاطعات خشية وقوع الرعب فى قلوب الأهالى ، واجتناباً لخلق مشاكل قد يكون لها نتائج سيئة . ثم هو يرى أن ظروف الجزيرة يومئذ كانت تتطلب من القوات المصرية أن يحسنوا معاملة الناس إلى أن تنتظم الأمور وتستقر الأحوال . فالثورة لم تكن قاصرة على تلك الجزيرة وحدها بل هى فى شبه جزيرة المورة وغيرها أيضاً . ويرى أخيراً أن يجعل مصطفى بك حاكماً على قنديه ، وحسين بك حاكماً على رسمو ، وعبد الله أغا على خانية[٢] .

النكسة :

وتدل شواهد الأمور على أن سياسة محمد على قد نجحت يومئذ فى كريت إلا أن نجاحها كان مكفولاً ببقاء القوات المصرية فى الجزيرة ، وظل الهدوء شاملاً عامين كاملين أقبل الناس على الحكم الجديد فرضوا به ، ولم يتخلف منهم إلا من فروا أول الأمر بالجبال[٣] ولم تكد القوات المصرية تغادر كريت لتسهم فى إخماد الثورة التى اندلعت نارها فى مودن Modon[٤] هنالك أسرع بعض الثوار من بلاد المورة فاتجهوا إلى الجزيرة فى ثلاث عشرة سفينة فبلغوا ساحل

(١) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣٩٤ إلى حسن بك قائد الحملة المصرية بكريت فى ٢٥ رمضان ١٢٣٩ (٢٤ مايو ١٨٢٤) .

(٢) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة ٤٣٨ ، إلى محافظ قنديه ٤ ذى القعدة ١٢٣٩ (أول يوليو ١٨٢٤) .

(٣) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة ٤٢٥ من الجناب العالى إلى الصدر الأعظم ٢١ شوال ١٢٣٩ (١٩ يونيو ١٨٢٤) .

(٤) Driault, *L'Expédition de Crète et de Morée*, 1823-1828, p. 58. Drovetti au Baron de Damas, Alex., 12 Mai, 1825.

كيسامو(١) فى منتصف شهر أغسطس ١٨٢٥ وكان عددهم يتراوح مابين خمسمائة وستمائة شخص أكثرهم من الثائرين والخارجين الذين فروا قبل ذلك من كريت انتهزوا فرصة رحيل القوات المصرية عن الجزيرة فأسرعوا إليها بغية إثارة إخوانهم الذين ركنوا إلى الهدوء واستسلموا للضعف ، تصدى لهم قائد المنطقة عثمان أغا ، وبذل كل مافى وسعه يومئذ ليحول بينهم وبين الجزيرة إلا أن كثرة عددهم قد عوقه نجاحه فى ذلك(٢) . ثم نجح بعض الثوار من تلك العصبة فى احتلال قلعة « كرابوزا » حين تنكر منهم أربعون ثائراً فى زى الأتراك وأوهموا رجال الحامية من العثمانيين أنهم جاءوهم للمساعدة من خانيه(٣) .

على أن هذا الحادث لم يثر الرعب فى قلوب الأتراك من سكان الجزيرة وحدهم بل أرهب الأتراك والمواطنون فى آن معاً . فأخذوا يلجأون أزواجهم وأطفالهم إلى ملاذ أمين . ولما بلغت الأنباء مصطفى بك بادر بمبارحة قندية على رأس ألفين من الجند ليضع حداً لتلك الفعلة الجزئية وليعيد الأمن إلى الجزيرة(٤) .

---

(١) يعرف هـذا الساحل باسم « كستيللى » ، وموقعه بين رأس « سباد » Spada « وكرابوزا » Carabusa

Ibid., pp. 84-85, Nouvelles sur les Affaires de l'Ile de Crète depuis 14 Nov., 1825. أنظر أيضاً : Ed. Gouin, *L'Egypte au XIXe siècle*, p. 390.

الذى أضاف أن اليونانيين أنشأوا بالجزيرة وكرا للقراصنة الذين باتوا يعرفون مصير السفن الأوربية المارة بالقنال الكريتى ، وأنظر أخيراً دفتر ٢٠ معية تركى مكاتبة ١٩٨ من الجناب العالى إلى لطف الله باشا محافظ قندية ٢٢ صفر ١٢٤١ (٧ أكتوبر ١٨٢٥) .

(٢) دفتر ٢٢ معية تركى ، ترجمة الافادة ١٦١ من الجناب العالى إلى الأفندى المأمور بقيد وكتابة الأمور المهمة فى كريت ، ١٨ محرم ١٢٤١ (٢ سبتمبر ١٨٢٥) .

(٣) الواقع « غرانبوسة » (كرابوزا) لم تكن فى حالة تعينها على الدفاع عن نفسها ، فلم يكن بها من الجنود غير خمسة أو ستة يرأسهم ضابط وكان المفروض أن يبلغ عددهم ١٥٣ جندياً تحت أمرة عدد من الضباط وقد مكن ضعف هذه الحامية العصاة من اليونانيين من احتلالها بالحيلة والخديعة ، أنظر دفتر ٢٠ معية تركى ، مكاتبة ١٩٨ من الجناب العالى إلى لطف الله باشا محافظ قندية ، ٢٣ صفر ١٢٤١ (٧ أكتوبر ١٨٢٥) .

(٤) Driault, pp. 84-85, Nouvelles sur les affaires de l'Ile de Crète depuis le 14 Août, 1825, jusqu'au 1er Octobre suivant.

وكتب محمد على إلى قائد قواته الأعلى بالجزيرة يوصيه أن يستعين بلطف الله باشا محافظ قنديه فى تجهيز الجيش وإعداده للمبادرة بضرب العصاة ومحو كل أثر لهم بالجزيرة ، ويوصيه فى الوقت نفسه بالمحافظة على أرواح الأهالى ممن جنحوا إلى السلم ، ورفعوا راية الأمن ، ويعمل على استمالتهم إلى جانبه ، ورفع السخرة عنهم ، وحمايتهم من عدوان أصحاب المقاطعات الذين بالغوا فى تسخيرهم فى أعمال البناء وفلاحة الأرض ، فهو يرى فى ذلك ظلماً طالما أوصى أولى الأمر من رجاله يرفعه عن أهالى الجزيرة(١) وحاول مصطفى بك أن يمنع الثوار فى « كرابوزا » من الاتصال ببقية أنحاء الجزيرة وكان غالبية أهلها قد سلموا فيما عدا جماعات قليلة كانت تسكن القرى من أهالى جبال إسفاكية ، فنزل برجاله فى « كيسامو » على أن افتقار مصطفى بك إلى السفن قد حال بينه وبين ما كان ينبغى له من السيطرة على الجزيرة وتطهيرها من عناصر الشغب والثورة(٢) فلم يلبث أن انتقل بقواته إلى « أبو كرونا » Apokorona الواقعة بين « سودة » وقنديه بغية القضاء على العصابات الثائرة من أهل إسفاكية فدعا بعض زعماء إسفاكية ليستعين بهم على قمع الحركة فى تلك المناطق الجبلية(٣) وأراد أن يجمع سلاحهم فرفضوا بحجة أن فرمانات السلطان قد أباحت لهم حمل السلاح ، ثم وعدوه بمعاونته على القضاء على العصابات الثائرة فى القرى الجبلية . ولم يكن ذلك الوعد بالأمر الذى يطمئن قوات محمد على على حال الجزيرة فقد أصبح مصيرها واستتباب الأمن فى ربوعها إنما يتوقف على ابراهيم باشا فى حرب المورة فلو أنه نجح فيها إذاً لساد الهدوء وانتشر السلام فى ربوع الجزيرة . وكان مما يقلق بال

---

(١) دفتر ٢٠ معية تركى ، الأمر ١٢٢ فى ١٤ محرم ١٢٤١ (٢٠ أغسطس ١٨٢٥) من الجناب العالى إلى القائد الأعلى للجيش المصرى فى كريت (مصطفى بك) وفيما يتعلق بتوصية محمد على بمعاملة المسيحيين — أنظر محفظة ١٠ بحريا ، وثيقة ٨ فى محرم ١٢٤١ (٢٠ أغسطس ١٨٢٥) .

(٢) Driault, pp. 114-116, Saint Sauveur au Baron de Damas, Canée, 9 Janvier 1826.

(٣) *Ibid.*, p. 118, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 28 Jan. 1826.

محمد على يومئذ أن قواد الأتراك القساة قد درجوا على إساءة معاملة الأهالى على الرغم من الوصايا والتحذيرات التى كان يبعث بها محمد على ويعمل قائد قواته مصطفى بك على تنفيذها(١) .

هنالك فكر مصطفى بك أن يغادر « أبو كرونا »Apokorona بعد أن قضى بها أسبوعين ، فعاد إلى معسكره « فى كيسامو » وكان « روسو » Russo زعيم الإسفاكيين قد غادر هو الآخر أبو كرونا مع فريقه . فبات قائد القوات المصرية يتوجس خيفة مما يحتمل أن يكون « روسو » Russo وقبيلته قد بيتوا النية على القيام به وأخوف ما كان يخاف أن يستولوا على جزيرة « كرابوزا » التى كانت ما تزال بين أيدى فئة صغيرة من اليونانيين(٢) وصدق حدس القائد المصرى حينما تبين له أن عصابات الإسفاكيين مازالت تمارس نشاطها وما زال أفرادها يكثرون ولا يقلون ، وما زالت الحوادث بين أيديهم تترى ، فأخذ قلبه يغلى بالغيظ ، ولم يجد بداً من القيام بعمل حاسم إزاء ذلك كله ، فأظفره الله برأس العصابة « روسو » وقبيلته فاعتقلهم فى سجن خانية بعد أن جردهم من سلاحهم(٣) وكان عددهم سبعة رجال سجن منهم اثنين فى « كيفالا » Kefala من إقليم « أبو كرونا » حيث كان يعسكر مصطفى بك برجاله يومئذ . فعل القائد المصرى فعلته تلك بغية القضاء على ثورة الإسفاكيين إيماناً منه بأنهم مثيروها ومشعلو نارها دون أن يضع يده على الدليل الذى يمكن أن يقوم لذلك . وكان مع ذلك يخشى أن يكون من وراء عمله هذا ما يزيد النار اشتعالاً بسبب ما أقدم عليه من اعتقال « روسو » Russo وأنصاره(٤) . كان القائد المصرى مصطفى بك على

---

(١) *Ibid.*, pp. 122-125, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 17 Fevrier 1826.

(٢) *Ibid.*, pp. 132-134, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 7 Mars 1826.

(٣) *Ibid.*, pp. 154-155, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 23 Avril 1826.

(٤) Aff. Etr., Corr. Cons. Turquie 244/219 (Paris), Consul au Ministre, Canée, 9 Mai 1826.

حق فيما فعل فالإسفاكيون قد تظاهروا بالطاعة والاستسلام وتظاهروا كاذبين بأنهم من رعايا المسلمين ووعدوا بالقضاء على الفتنة ، ثم باتوا مع ذلك يأججون نار الفتنة ، ويتربصون بالمسلمين الدوائر ويتجسسون عليهم ، ونجحوا فى الفتك بأكثرهم ونهب أموالهم واغتصاب أملاكهم[١] .

سوء الحالة فى الجزيرة :

وساءت أحوال الجزيرة حين حاصرها القراصنة ، فهم يحيطون بها من كل جانب فيعوقون صلاتها التجارية من الخارج وتزداد حوادث السرقة والقتل وتجدب الأرض لأن الاضطراب والفوضى قد صرفا الناس عن الاهتمام بفلاحة الأرض ، وحرقت بعض القرى وكثرت الهجرة ونفقت البهائم والأنعام وانتشر الوباء ففتك بكثير من الناس كما قضى على حاكم خانية[٢] .

ومن حوادث الاغتيال المثيرة التى وقعت يومئذ فى الجزيرة حادث اغتيال القبطان المسوى راديسفتش Radicevitch وكان راسياً بسفينته فى ثغر «سودا» طعنه أحد الجنود الألبانيين بخنجره عدة طعنات فى رائعة النهار فسقط فاقد الحياة ، وقد أثار هذا الحادث قناصل الدول الأوربية فقدم ثلاثة منهم : قنصل النمسا d'Herculès وقنصل فرنسا St. Sauveur وقنصل بريطانيا « كابو جروسو » Capo Grosso احتجاجهم إلى يوسف أفندى نائب مصطفى بك فى خانية فأصدر أمره بالقبض على الجانى وكان قد فر من المدينة فألقى به فى السجن فظل فيه حتى أمر مصطفى بك بإعدامه[٣] .

---

(١) دفتر ٢٢ معية تركى ٤٩٦ من الجناب العالى إلى لطف الله باشا، ١١ ربيع آخر ١٢٤٢ (٢٢ نوفمبر ١٨٢٦) .

(٢) Driault, pp. 156-159, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 9 Mai 1826.

(٣) *Ibid.*, pp. 145-147, 31 Mars, 1826.

أثر انتصارات الجيش فى المورة :

وكان من نتائج انتصارات الجيش المصرى فى المورة واستيلاء قواته على موسولونجى أن بدأت أحوال الجزيرة تتحسن ، وبات الأمل عظيماً فى أن تهدأ العصابات الثائرة التى اعتصمت بجبال إسفاكية وأن يفتر نشاط القراصنة الذين كانوا ينتشرون على شواطىء الجزيرة ويتخذون من « كرابوزا » وكراً لهم ومهباً للسطو والعدوان[١] . وآية ذلك أن تبلغ شواطىء الجزيرة ست سفن تحمل الزيت من ثغر « سودا » إلى مرسيليا بعد ما انقطعت صلتها بالجزيرة خمسة أعوام ، ثم ذلك فى سهولة ويسر فأخذت تجارة كريت فى الرواج واتصلت السبل بينها وبين دول أوربا مما أدى إلى تحسن أحوال السكان[٢] ولم يلبث الحال غير قليل حتى استطاعت سبع سفن أخرى أن تحمل الزيت من كريت إلى فرنسا ، وبدأت الغلال تصل إلى الجزيرة بعد سنين الجدب والجوع مما خفف من محنة أهلها ، وبدأ وباء الطاعون يرتحل عن ديارهم[٣] .

ثورة اليونانيين وأثرها على مركز لطف الله باشا :

توالت حوادث العدوان يقوم بها الثوار من أهل الجزيرة فاستولوا على قلعة « كرابوزا » وتحرج مركز محافظة قندية ، ولم يلبث السلطان أن أعلن غضبه وسخطه من تراخيه وإهماله ثم من فشله آخر الأمر فى القيام بأعباء منصبه ، ثم اعتبروه مسئولاً عن سقوط « كرابوزا » فى أيدى الثوار ، وما ساد الجزيرة من أعمال الفوضى يقوم بها الانكشاريون مما أدى إلى اضطراب أحوال الجزيرة من جديد ، وجاءت الأوامر من الأستانة بعزله من منصبه على أن يغادر الجزيرة إلى الآستانة بعد وصول خليفته[٤] ، وتعيين (سليمان أغا) بدلاً منه ، وكان يومئذ

(١) Aff. Etr., Corr. Pol., Turquie 244/305, Consul au Ministre Canée, 10 Juin 1826.

(٢) Driault, pp. 176-177, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 10juin 1826.

(٣) *Ibid.*, p. 180, St. Sauveur au Baron de Damas, 2 Août 1826.

(٤) دفتر ٢ عابدين ، المكاتبة ١١ من الجناب العالى إلى الصدر الأعظم فى ٨ جمادى الآخر ١٢٤٢ (٧ يناير ١٨٢٧) .

أميناً لجرك الفواكه الرطبة فى أزمير ، ولم يسند إليه منصب المحافظ فى « قندية » وحسب ، بل صار محافظاً لخانية ، ومنح رتبة الوزارة ثم جعل والياً على الجزيرة(١) على أن يقدم إلى مصر قبل تسلمه مهام منصبه الجديد ليتزود فيها بنصائح محمد على ، وأكرم محمد على وفادته ، وبعث بالحاج إبراهيم أغا من كبار رجال قصره إلى إسكندرية ليكون فى استقبال سليمان وكان ذلك فى ٩ من مارس ١٨٢٧(٢) ولقى الرجل لدى محمد على أكثر مما كان ينتظر ، احتفل بمقدمه وأكرم ضيافته وزاد من عطائه(٣) وجعل فى معيته القائد زكريا أغا المقيم مع جنده فى رشيد(٤) .

وانتهز محمد على فرصة التخلص من بعض جنوده الألبان فأرسل منهم فى ركاب والى كريت الجديد أربعمائة جندى(٥) حملهم على خمس سفن وخصص لهم الغرقاطة إحسانية فغادر شواطىء مصر فى ٢٥ مارس ١٨٢٧(٦) وأخذ الناس يبشرون بمقدمه ، ويتطلعون إلى الخير بين يديه ، وينتظرون أن يزداد الرخاء ، وتتحسن الحالة الاقتصادية(٧) كذلك حمل الوالى إلى مصطفى بك قائد الجزيرة

---

(١) دفتر ٢ عابدين المكاتبة ٩٠ من الجناب العالى إلى الصدر الأعظم فى ٢٠ شعبان ١٢٤٢ (١٩ مارس ١٨٢٧) .

(٢) دفتر ٢ عابدين المكاتبة ٦٣ من الجناب العالى إلى سليمان باشا القادم من أزمير ١٠ شعبان ١٢٤٢ (٩ مارس ١٨٢٧) .

(٣) Driault,pp. 241-242, Baron de Damas au Malivoire, Caire, 28 Mars, 1827.
وتصف هذه المكاتبة الحفاوة البالغة التى استقبل بها سليمان باشا .

(٤) دفتر ٢ عابدين مكاتبة ٨١ من الجناب العالى إلى حضرة القبوكتخدا ، ٢٠ شعبان ١٢٤٢ (١٩/٣/١٨٢٧) دفتر ٢٦ معية تركى / ١١٦ من الجناب العالى إلى القائد زكريا المقيم فى رشيد فى ٢٢ شعبان ١٢٤٢ (٢١ مارس ١٨٢٧) .

(٥) Driault, Baron de Damas à Drovetti, Alexandrie, 1er Avril 1827.
وفى رواية أخرى أن محمد على زود الوالى بفرقة من جنوده الأرناؤوط عددها ٣٥٠ جندياً بالإضافة إلى من جاءوا معه من أزمير ، أنظر
Le Règne de Mohamed Aly d'après Les Archives Russes, vol. I, p. 76, Drâovett Ribeaupierre, 5 Mai, 1827.

(٦) تاريخ لطفى ، الجزء الأول ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٧) الرسالة السابقة الذكر) فى
Le Règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes, Vol. I, p. 76 .

براءة الباشوية من الميرميران ، وكان ذلك بناء على رغبة ملحة من محمد على الذى كان يعطف على ذلك القائد ويقدر كفاية(١) .

على أن القلق ظل سائداً فى الداخل ، فالثوار اليونانيون من سكان الجبال والهضاب مازالوا يتربصون بالترك الدوائر ويقعدون لهم كل مقعد بغية الإنتقام لقتلاهم من الفلاحين وكان القنديون منهم أكثر هياجاً وأشد استياء فلقد قتل الأتراك من ذويهم نحو ثلاثين من الرجال والنساء والأطفال على مقربة من « قنديه » ولم يكن قد مضى على إقامة الوالى فيها غير وقت قصير فبادر بالقبض على الجناة ، وعاقب واحداً منهم بالموت واضطروا إلى إطلاق سراح الباقين تحت ضغط الأتراك من سكان المدينة ، وكانوا أكثر قومهم قسوة وأشدهم عنفاً وأسرعهم فى الخروج على النظام والامتثال للأوامر(٢) .

هكذا كانت الحال فى قندية فأما فى خانيه التى أصبح زمامها بين يدى مصطفى باشا قائد القوات المصرية فقد ساد الهدوء وعمت السكينة نظراً لما أبداه الرجل من حزم وحكمة فى معالجة الأمور . وذلك حين ساعد القوات الفرنسية البريطانية على احتلال « كرابوزا » بغية تخليصها من « حاجى ميخائيل » Hagi Michali وعصابته الذين أشعلوا نار الفتنة فى الجزيرة دهرا ، ولما تم له ما أراد حصل على وعد من حاجى ميخائيل بأن يكف عن مسلكه عن القيام بأى حركة ثورية أو عدوانية على أن يقيم هادئاً فى موطنه إسفاكية .

غير أن مصطفى باشا كان قوى الوعى بعيد النظر ، فلم يطمئن إلى وعد ذلك الإسفاكى الثائر . ورأى فى بقائه فى الجزيرة خطراً على الأمن والسلام وقصد

---

(١) دفتر ٢ عابدين مكاتبة ١٠٢ من الجناب العالى إلى مصطفى باشا فى ٢٥ شعبان ١٢٤٢ (٢٤ مارس ١٨٢٧) .

(٢) Driault, pp. 305-307, Fournetty au Baron de Damas, Canée 15 Avril 1828.

انظر كذلك

Aff. Etr., Carton de La Canée, Fournetty au Ministre la Canée, 18 Avril 1828.

إلى إسفاكية حيث يقيم الرجل بين أعوانه وكان عددهم يتراوح بين سبعمائة وثمانمائة رجل وطلب إليهم مغادرة الجزيرة حريصاً فى ذلك على أن يتحاشى كل اشتباك معهم فى حرب حتى لا يتعرض الناس فى تلك المنطقة للأذى . ولما لم يستجب « حاجى ميخائيل إلى نداء مصطفى باشا اضطر إلى مهاجمته ورجاله فى ٢٨ مايو ١٨٢٨ ، فسقط « حاجى ميخائيل » وسقط معه من رجاله ثمانمائة وطلب من بقى منهم بعد المعركة الأمان على أن تسهل حكومة الجزيرة أمر ترحيلهم وأجيبوا إلى ما طلبوا ثم سخا لهم فزودهم بالمؤن وأطلق سراح المسجونين منهم . وقد أكد المرحلون لمصطفى باشا أن زعيمهم « حاجى ميخائيل» كان ينوى مقابلته ومفاوضته إلا أن الإسفاكيين أثاروا شكوكه ومخاوفه وحذروه من عواقب هذا اللقاء[١] .

غدر الإسفاكيين وقيامهم بالتحريض على الثورة :

وإذا كان الإسفاكيون لم يشاركوا فى المعركة بين قوات مصطفى باشا و« حاجى ميخائيل » فإنهم كانوا المحرضين على وقوع الصدام الذى سفكت فيه الدماء . ثم تظاهروا بالهدوء حتى إذا ما مر مصطفى باشا بقواته عائداً من ميدان المعركة باغتوها وأنزلوا بها كثيراً من الخسائر الفادحة[٢] هنالك امتلأ قلب القائد غيظاً منهم وحقداً عليهم بعد أن كان صفا لهم على معاقبة من يعتدى عليهم من الأتراك[٣] .

واستمر الإسفاكيون فى عدوانهم على الأتراك ، وتمكنوا آخر الأمر من محاصرة حامية تركية كانت ترابط فى قرية « ملكسا » Malexa وكان

---

(١) Aff. Etr., Carton de La Canée, Fournetty au Ministre, La Canée, 12 Jnin, 1828.

أنظر كذلك دفتر معيه تركى ٢٦ ؛ مكاتبة ٢٥ ، ١١ محرم ١٢٤٤ (٢٧ يوليو ١٨٢٨) إلى الصدر الأعظم جاء أن عدد القتلى قد بلغ ٣٥٠ ثلاثمائة ويشار فى هذه الوثيقة إلى « حاجى ميخائيل «» باسم « آجى ميخائيل » .

(٢) الوثيقة السابقة دفتر معيه تركى ٣١ .

(٣) Driault, p. 307, Fournetty au Baron de Damas, Canée, 15 Avril 1828.

عدد رجالها ٣٠٠ رجل فاضطروا إلى الانسحاب دون أن يخسروا من الأرواح والمعدات شيئاً هنالك قصد مصطفى باشا بقواته إلى ذلك المكان وكان الطريق إليها وعراً شديد الوعورة وتعرض أثناء ذلك إلى هجمات الإسفاكيين ، ولكنه استطاع على الرغم من ذلك أن يسيطر على الموقف من جديد(١) .

والشيء الذى لا شك فيه أن « حاجى ميخائيل » ونشاطه الثورى قد هز الجزيرة وأثار الرعب فى قلوب أهلها حتى بات الكريتيون وكان أكثرهم لا يعرف التاريخ الميلادى ولا الهجرى يؤرخون بحادث هذا الثائر إلى جانب التاريخ بالثورة اليونانية والصلح الذى تم على يد حسين بك ووقوع الزلزال الكبير وزمان حاجى « عثمان » وحكمه فى الجزيرة(٢) .

موقف الدول من ثورة كريت :

لا يكاد موقف الدول إزاء هذه الثورة يختلف عن موقفها إزاء ثورة الاستقلال اليونانية فهذه روسيا تبدى عداءها لتركيا منذ اللحظة الأولى ، وتهدر بالتدخل فى شئون الجزيرة وترفض تركيا فكرة التدخل كما جاء فى تصريح الصدر الأعظم لسفير بريطانيا عام ١٨٢٢ حيث قال « القناء أحب إلينا من أن يتدخل الغير فى شئوننا ، فليهتم كل بأمره ، لا يأمر من هو فى غنى عنه » ، وفى عام ١٨٢٤ يظهر تدخل الروس حين يقترحون تقسيم اليونان إمارات ثلاث على أن تكون كريت بالإضافة إلى جزء من بلاد اليونان إحدى هذه الامارات ، على أن تمنح جميعاً استقلالاً ذاتياً تحت سيادة الدولة العثمانية ، وظاهر من مسلك روسيا أنها كانت ترى فى تلك الفكرة تمهيداً لسلخ الجزيرة من أملاك العثمانيين . هذا كان موقف روسيا .

---

(١) أنظر كذلك دفتر مهيه تركى ٢٦ ، المكاتبة ٣٧١ فى أمر إلى مصطفى باشا قائد جزيرة كريت ٢٩ ربيع الأول ١٢٤٤ (٩ أكتوبر ١٨٢٨) .

(٢) Pashley, *Travels in Crete*, vol. I, p. 273.

وشبيه بذلك ما كان يفعله الريفيون من أهل مصر قبل خمسين عاماً فقد كانوا يؤرخون بحادث الثورة العرابية .

فأما انجلترا التى لزمت الحياد دهراً واستهدفت بذلك لعداء الحلف المقدس ومستمسكة بمبدأ عدم التدخل فى شئون الدول الداخلية فقد رأى رئيس حكومتها ووزير خارجيتها « كاننج » Canning اتباع هذه السياسة فى حرب الاستقلال اليونانية حفاظاً على حسن العلاقات التجارية بين بلاده وأملاك العثمانيين ، ولما تبين أن هذه السياسة قد أخذت تفسح المجال لتدخل الروس ، وتمد أطماعهم فى البلقان ورأى مظاهر العطف على قضية اليونان قد أخذت تشتد فى غرب أوربا اشتداداً أقل ما يمكن أن يقال فيه أنه أثر على مترنخ يومئذ زعيم الرجعية بحيث غدا يميل إلى التدخل فى اعتدال لمعاونة الشعب اليونانى على استرداد حريته . هنالك بات « كاننج » يفكر فى التدخل فصرح فى عام ١٨٢٤ بأن الأمر يتطلب صلحاً على شروطه يتفق عليها كل من الطرفين المتنازعين ، صلحاً يحقق لليونانيين استقلالا داخلياً تحت سيادة العثمانيين واشتدت رغبة مترنخ فى إقناع العثمانيين فى الموافقة على تحرير اليونانيين .

هنالك تنبه القيصر الروسى « إسكندر الأول » إلى أن سياسة « كاننج » محبطة لمشروعاته مضيعة لآماله فى البلقان ، فأوصاه بأن يأخذ على عاتقه رعاية الشئون اليونانية وكان فى ذلك معبراً عن الرأى العام للشعب الروسى ، على أن القيصر قد مات بعد ذلك بقليل وكان ذلك فى نهاية عام ١٨٢٥ وسلكت كل من فرنسا والنمسا مسلكا مشابهاً حين تقدمتا باقتراحات مماثلة إلى حكومة بريطانيا حتى لا تتدخل روسيا لحل المشكلة الشرقية تدخلا مسلحاً .

وأثار ظفر القوات المصرية المحاربة لحساب العثمانيين ببلاد المورة ، مشاعر الناس فى غرب أوربا وأخذوا يطالبون بمناصرة اليونانيين حتى اضطر « كاننج » إلى الخروج عن مبادئه الحيادية وبدأ يتدخل عن طريق تحذير تركيا إلى الخطر الروسى وإظهار حرصه على ألا تتعرض أملاك العثمانيين إلى خطر التجزئة ، طالباً إليها الموافقة على تحرير اليونان برغم كل ما تم لها من نصر على أيدى القوات المصرية ولكن سرعان ما خاب مسعى « كاننج » . فعلى الرغم من أنه كان

صادقاً ومبصراً فى سعيه فإنه قد أخطأ التوفيق فيما طلب حين فاجأه القيصر الجديد نيقولا الأول فى الرابع والعشرين من شهر مارس ١٨٢٦ وكان هذا الأخير قد بنى سياسته على أن يتقاسم الأقوياء أشلاء الرجل المريض بذلك الإنذار الذى وجهه إلى تركيا ويقضى بأن تنفض يدها من شئون البلقان ، تاركا بذلك قضية اليونان فى أيدى الحلفاء هنالك رضخت تركيا لمطالب روسيا بعقد معاهدة أكرمان Ackermann فى السابع من أكتوبر ١٨٢٦ نزلت فيها مضطرة عن كثير من الامتيازات ، فهى قد نصت على انسحاب القوات العثمانية من إمارتى الدانوب وحرية الملاحة فى المضايق ولم يكن أمام تركيا يومئذ إلا أن توافق على نصوص تلك المعاهدة ، بغية تجنب الدخول فى حرب مع روسيا لم يكن فى استطاعتها يومئذ أن تخوضها ذلك لأن جهودها كانت موزعة بين تطوير جيشها والقضاء على ثورة الانكشارية على أن تسليم تركيا بمطالب روسيا وإن كان قد جنبها الحرب إلى حين إلا أنه لم يزل شبحها من الوجود(١) .

وهكذا غلبت بريطانيا على أمرها حين خاب مسعاها ولم يكن فى وسعها أن تقاوم ذلك التيار الروسى الجارف ، فأوفدت « ولنجتن » Wellington إلى سان بطرسبرج ليوقع مشروع اتفاق مع وزير خارجية روسيا « نسلرود » Nesselrode فى الرابع من أبريل ١٨٢٦ أصبحت اليونان بمقتضاه مستقلة استقلالاً ذاتياً مع بقائها تحت سيادة العثمانيين ولما دعيت الدول الأوربية للموافقة على ذلك امتنعت كل من النمسا وبروسيا وكانت من أنصار الرجعية وأعداء الحرية فأما فرنسا فقد امتنعت عن توقيع تلك الاتفاقية واقترحت عقد معاهدة تم توقيعها فى السادس من شهر يوليو ١٨٢٧ فاشتركت فيها روسيا وبريطانيا على

---

(١) See C.M. Woodhouse, *The Greek war of Independence* (1st ed. London,1952) pp. 52-117.

وأنظر كذلك

A. Softazadé, *La Crête sous la Domination et Suzeraineté Ottomanes*, (Paris,, 1920) pp. 23-26.

إقامة دولة يونانية تتمتع بالحكم الذاتى تحت سيادة العثمانيين وتعتبر هـذه المعاهدة حجر الأساس فى استقلال اليونانيين التام .

وقد أدت إلى معركة نفارين (٢ أغسطس ١٨٢٧) التى تحطم فيها الأسطول التركى المصرى على يد الأساطيل البريطانية الفرنسية الروسية المشتركة فلم يعد مناص بعد هذه الكارثة الكبرى التى ألمت بتركيا من أن تنال اليونان لا حكماً ذاتياً فحسب وإنما استقلالاً تاماً .

غير أن الروس قد آمنوا فى مسلكهم السياسى بأن السلام لا يمكن أن يتحقق فى بلاد اليونان إلا باستخدام العنف فى مواجهة الباب العالى ، وآية ذلك أنهم عقدوا العزم على تنفيذ ما حاول كانتج من قبل أن يتحاشاه ، فأعلنت روسيا الحرب على تركيا فى أبريل عام ١٨٢٨ وفى نوفمبر ١٨٢٨ أرسلت فرنسا بعض قواتها البرية أرغمت قوات ابراهيم على الجلاء عن المورة[١] بينما اجتاحت قوات روسية الأراضى التركية فتمكنت من الوصول إلى أدرنة فى صيف ١٨٢٩ ومن تحرير البلقان وخشيت عندئذ فرنسا وانجلترا أن تضع روسيا يدها على بلاد اليونان . فبدأت محادثات لندن التى انتهت بالاعتراف باستقلال اليونان بعد عقد معاهدة أدرنة (١٤ سبتمبر ١٨٢٩) ولما سقطت حكومة المحافظين فى انجلترا سنة ١٨٣٠ وصار بلمرستون أحد أعضاء حزب الأحرار وزيرا للخارجية زالت كافة العراقيل للاعتراف باليونان دولة مستقلة كل الاستقلال عن تركيا ١٨٣١[٢] .

هذا ما كان من أمر بلاد اليونان فماذا كان موقف الدول من كريت بعد انتهاء حرب الاستقلال اليونانية ؟ كانت فرنسا حيث اشتد العطف على القضية

---

(١) ومع ذلك فقد رفضت كل من انجلترا وفرنسا اعتبار نفسها فى حالة حرب ضد تركيا .

(٢) أنظر كذلك تاريخ أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ — ١٩٥٠) . تأليف جرانت ، تمبرلى ، ترجمة بهاء فهمى ص ٤٠٤ — ٤٠٦ (١٩٦١) .

اليونانية وحيث كان الساسة دون استثناء يحبذون توسيع رقعة المملكة الجديدة « مملكة اليونان » ، ترى ضرورة ضم كريت إلى أملاك اليونان معتمدة فى ذلك على رغبة اليونان من ناحية ، ويونانى الجزيرة من ناحية أخرى ، وبذلك أوصى ممثل فرنسا فى ٢٢ مارس ١٨٢٩ حين ذكر « أن ضم جزيرة كريت إلى أملاك اليونان له أهميته الواضحة من حيث اعتباره فى صالح الدول الأجنبية الأخرى» ، إلا أن معاهدة لندن التى أبرمت فى ٣ فبراير وضمنت استقلال اليونان قد نصت على بقاء جزيرتى كريت وساموس تحت سلطان العثمانيين . وكانت انجلترا وحدها تعمل على إنقاذ وحدة أملاك الدولة العثمانية وهى عندما وافقت على استقلال اليونان قد ضيقت حدودها بقدر المستطاع وليس أدل على ذلك مما كتبه اللورد ابردين إلى ولنجتن فى ٢٤ سبتمبر ١٨٢٩ « إذا كان فى استطاعة تركيا أن تبذل بعض الجهود فى سبيل الاحتفاظ بكل من جزيرتى « يوبيه » Eubée وكريت فإن ذلك لما يضمن لها الاشراف على بلاد اليونان» وقد كان من الواضح أن انضمام جزيرة « يوبيه » لبلاد اليونان كان نتيجة لإلحاح فرنسا المتكرر بسبب عطفها الشديد على القضية اليونانية(١) .

تم الاتفاق بين الدول الثلاث فى محادثات لندن فى فبراير ١٨٣٠ على ضمان استقلال مملكة اليونان الجديدة ، مع الإبقاء على جزيرتى كريت وساموس تحت السيطرة العثمانية كما استقر الرأى على اختيار « ليوبولد ساكس كوبورج » Leopold saxe Coburg ليصبح ملكاً على بلاد اليونان وكان على اتصال دائم بحاكمها المؤقت « كابوديستريا » Capo d'Istria (٢) الطموح الذى

---

(١) Softazadé, pp. 27-30.

(٢) Charles Webster, *The Foreign Policy of Palmerston*, vol. I, pp. 260-261.
وفى هذا الفصل ما يشير إلى أن كابوديستريا كان من كرفو ، وكان وزير الخارجية روسيا بعض الوقت ، كما كان شديد التعلق بها ، ولما عين حاكماً مؤقتاً اليونان سلك فى حكمها مسلك المستبد .

كره هذا الأمر منذ البداية وبات يدبر لإخفاقه ويضع العقبات فى سبيل الرجل حتى يوهمه أن اليونان لا يمكن أن يكون لها كيان ثابت إلا إذا ضمت إليها جزيرة كريت وساموس(١) وقد كان لهذا التحذير أثره على ليوبولد وآية ذلك أنه يجيب على مذكرة الدول الثلاث المتحالفة محذراً « بأن جعل كريت خارج حدود المملكة اليونانية يعيب كيانها مادياً وروحياً » كما أنه صرح لأولئك الساسة أن ضم كريت لبلاد اليونان شرط أساسى لقبوله تاج اليونان مما أدهشهم لأنه كان قد سعى سعياً حثيثاً ليصل إلى هذا الترشيح ، كما أنه كان قد وافق عليه من قبل . فلم يسع اللورد ابردين إلا أن يذكره أن مسألة ضم كريت لليونان لم تذكر بتاتاً عند عرض ذلك العرش عليه . وقد أصر « ليوبولد » على موقفه وصرح فى خطاب استقالته عن ذلك الترشيح فى ٣١ مارس ١٨٣١ أنه يرفض الموافقة على تخلى أولئك اليونانيين عن اخوانهم الذين شاركوهم فى القتال لتحرير الوطن وحرمانهم من التمتع بالمشاركة فى نعمة الاستقلال . وذلك رأى لم يره « كابود يسترا » و « ليوبولد » وحدهما وإنما رآه بعض الزعماء السياسيين فى بريطانيا وفرنسا ، فهذا « بلموستون » يعلن فى البرلمان الانجليزى أن حرمان

=أنظر كذلك

Driault & L'Heretier, *Histoire Diplomatique de la Grèce de* 1821 à *nos jours*, 1925, pp. 49-59.

وفى ٢٧ سبتمبر (٩ أكتوبر) عام ١٨٣١ قتل كابوديسترييا وهو فى طريقه إلى الكنيسة على يد قسطنطين وجورج مفروميكا ليس انتقاماً لسجن كابوديسترييا لأخى الأول وأبى الثانى المدعو Pierre Mavromichalis — *Ibid.*, vol. II, p. 69.

(٢) وإذا كان كابوديسترييا قد أراد أن يمكر بصاحبه عندما حذره من مصير اليونان إن هو قبلها بغير الجزيرة فإنه فى الواقع كان يؤمن بذلك ويخشى أشد الخشية من بقاء كريت تحت حكم العثمانيين أو تركها للإدارة المصرية ، ذلك لأن الفتن والإضطرابات كانت ما تزال تملأ جوها ومبعثها فى رأيه القلق الذى بات يملأ نفوس الكريتيين من مصيرهم إذا لم تظلهم وأخوانهم فى اليونان راية واحدة ، ولا أدل على ذلك من أنه أوصى الدول المتحالفة بأن يتخذ من الاجراءات مايكفل سلامة السكان وإلزام حاكم الجزيرة بتنفيذها .

P. R. O./F. O. 78/189, Copie, Note sur la Candie et Samos 17, 29 Decembre, Count Capodistrias, Enclosure in Sir Robert Gordon's No. 7 of Constantinople, 5th Februry 1930.

اليونان من كريت معناه حرمانها من خطوط الدفاع عن نفسها وتعريض كيانها للخطر ؛ ونادى « جيزو » Guizot رئيس وزراء فرنسا بضرورة ضم كريت إلى اليونان وأيده فى ذلك « تيير » Thiers زعيم المعارضة .

وقد كان لكل أولئك أثره الواضح فى سياسة الحلفاء إزاء مصير الجزيرة فعندما تقرر بقاءها وجزيرة ساموس تحت حكم العثمانيين ، قدم الحلفاء إلى السلطان مذكرة فى أبريل ١٨٣٠ يعلنون فيها حرصهم الشديد على سلامة الجزيرة ، وتأمين سلامة سكانها ويوصونه بأن يقيم حكمه فيها على أسس سليمة يراعى فيها رد ما كان للسكان من حقوق وامتيازات معلنين استعدادهم للتدخل لحماية الكريتيين إذا ما أصابهم ظلم أو وقع عليهم أى عدوان(١) .

القوات الأوربية تحاصر كريت وتحتل قلعة « كرابوزا » Carabusa

فى صيف ١٨٢٨ بدأت بعض السفن البريطانية تحاصر الجزيرة ، وكان الغرض من ذلك أن يحال بين القوات المصرية و بين إرسال المؤن والمعدات إلى بلاد المورة ، وكان محمد على قد أمر بإرسالها محملة على سفائن أربع حاولت الاقلاع بها من ثغر خانية . وكان مفهوماً أنها ستعود إلى الأسكندرية كما جاءت منها ، وتعلل الأوربيون بذلك فباتوا يعدون خروجها إلى المورة إخلالاً بالوعد الذى أعطاه محمد على حين أعلن أن هذه السفن لن تعدو الجزيرة ولن تغادرها إلا إلى الاسكندرية . وهكذا تصدت قوات الحصار الأوربى للسفن المصرية على حين تركت السفن الأوربية تغادرها حرة محملة بمختلف البضائع والسلع والغلات(٢) .

وكان من نتائج حصار الإنجليز والفرنسيين للجزيرة ، وتضييق الخناق عليها أن قلت مواردها و بخاصة ذخائر الجيش وعتاده ، وعوقت رواتب عساكره ، مما

---

(١) Softazadé, pp. 30-34.

(٢) Aff. Etr., Carton de la Canée (1819-1830), Fournetty au Ministre, LaCanée, 2 Juin 1828.

أثار القلق فى نفس محمد على فبات يفكر ملحاً فى فك الحصار[١] وبخاصة حينما أصبح من العسير إرسال الضرورى من الأقوات لرجاله ، فكانت سفنه تدور حول الجزيرة متفرقة على بعد ، فإذا أمنت عين الرقيب اندفعت إلى الساحل فأفرغت حمولتها من القمح ، كما وقع فى « سودة » ، « وقندية » «وخانية»[٢] ولما ازداد قلق محمد على وضاقت به السبل إلى فك الحصار كتب لواحد من عيونه فى الآستانة ، وطلب إليه أن يشرح الموقف ويفصل أموره بين يدى السلطان ، وبين له أن العجز عن إيصال المؤن والذخائر إلى من فى الجزيرة من جنده قد يؤدى بهم إلى الثورة والعصيان وأنه لم يأل جهداً ولم يترك باباً إلا طرقه حتى يتحاشى ذلك فهو قد اضطر إلى تقديم الرشوة إلى قواد السفن الأوربية مقابل تهريب بعض المؤن إلى الجزيرة[٣] وهو قد لجأ فى سبيل ذلك إلى حيلة أخرى ، فكان يبعث بسفنه إلى رودس ، ويقوم بتهريب حمولتها من المؤن والذخائر والأموال على دفعات صغيرة معبأة فى صغار المراكب[٤] .

ويرى البريطانيون تبرئة أنفسهم من الإشاعات التى راجت عندئذ بسبب حصارهم للجزيرة حول رغبتهم فى الاستيلاء عليها[٥] فيعلنون نيتهم فك الحصار عنها عندما يقرون فى ٢٥ ديسمبر ١٨٢٨ تنفيذ معاهدة ٦ يوليو ١٨٢٧ الخاصة بحدود اليونان المستقلة التى أصبحت قاصرة على المورة وجزر السيكلاديز ، وكان رسولهم أمير البحر الانجليزى ملكولم Malcolm الذى أذاع الخبر عند وصوله

---

(١) دفتر ٢٦ معيه تركى ، مكاتبة من الجناب العالى إلى سليمان باشا محافظ كريت ، ٣ صفر ١٢٤٤ (١٥ أغسطس ١٨٢٨) .

(٢) دفتر ٤٠ معيه تركى ، مكاتبة ٧٥ ، من الجناب العالى إلى نائب الصدر الأعظم فى غرة جمادى ثانى ١٢٤٤ (٩ ديسمبر ١٨٢٨) .

(٣) دفتر ٤٠ معيه تركى ، مكاتبة ٨٦ ، من الجناب العالى إلى الشيخ ، وكان فى الغالب أحد عيونه وأعوانه ولم يستطع الاهتداء إلى اسمه فى غرة رجب ١٢٤٤ (٧ يناير ١٨٢٩) .

(٤) دفتر ٤٠ معيه تركى ، مكاتبة ٨٨ من الجناب العالى إلى حضرة قائمقام الصدارة فى ٢ رجب ١٢٤٤ (٨ يناير ١٨٢٩) .

(٥) *Le Règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes*, Vol. I, pp.311-312, Pezzoni à Ribeaupierre, Alex., 29 Octobre 1828.

إلى الأسكندرية قادماً من خانيـة[١] ويعلن محمد على ذلك ، ويبلغ نبأه إلى محافظ الجزيرة ليعلنه على الذين مردوا على العصيان وإثارة الفتن ، وأن ما حال الحصار بينهم و بين بلوغه من الزاد والعتاد قد أضحى اليوم وصوله ميسوراً . ولم يصبح هناك من سبب للقلق والثورة ، وأن ينـذر المخالفين منهم بأشـد ألوان العذاب ، و بخاصة بعد الذى أنفق من مال وجهد فى سبيل إصلاح أمورهم[٢] . ولم يكد المحاصرون يبدأون بتنفيذ ما وعدوا ، وتقلع بعض سفائنهم من شواطىء الجزيرة فى ٢١ يناير ١٨٢٩ حتى بادر محمد على بالـكتابة إلى سليمان باشا راسماله ما ينبغى أن يتبع من خطوات فى العمل على تنظيم أمور الجزيرة وإعادة الأمن إلى نفوس أهلها[٣] ولم يلبث البريطانيون حتى أصـدروا تصريحاً بإنهاء الحصار وأن سواحل الجزيرة باتت حرة[٤] .

وإذا كان البريطانيون قد فكوا الحصار عن سواحل الجزيرة فإن قلعـة « كرابوزا » قد ظلت بين أيديهم يشاركهم فى ذلك قوات الفرنسيين والروس ، وظل محمد على يجاهدهم حتى استطاع إقناعهم بوجوب الانسحاب وتم له ذلك فى مطلع عام ١٨٣١ وكان أمر هـذه القلعة ووقوعها تحت أيدى هذه القوات الأوربية قد أقلق محمد على وأقض مضجعه فهو قد بذل كثيراً من الجهد ، وأنفق كثيراً من المال فى سبيل تنظيم هـذه الجزيرة ، وتحريرها وإذاعة الأمن فيها ، وبات ينظم أمورها ، وكان طبيعياً أن يغضب لبقاء هـذه القوات فيها بعد أن وضعت الآستانة بزمام أمورها بين يديه ، وكان يعلم أن الروس لم يشاركوا

---

(١) *Ibid.*, vol. I, p. 329, Pezzoni à Ribeaupierre, Alexandrie, 16 Jan. 1828.

(٢) دفتر ٤٠ معية تركى مكاتبة ٩٦ من الجناب العالى إلى سليمان باشا محافظ الجزيرة فى ٩ رجب ١٢٤٤ (١٥ يناير ١٨٢٩) أنظر كذلك دفتر معية تركى مكاتبة ٩٧ من الجناب العالى إلى القبوكتخدا فى ١٢ رجب ١٢٤٤ (١٨ يناير ١٨٢٩) .

(٣) دفتر ٤٠ معية تركى مكاتبة ١١٦ من الجناب العالى إلى خلوصى باشا قائمقام الصدارة فى ١٢ شعبان ١٢٤٤ (١٨ يناير ١٨٢٩) .

(٤) *Le Règne de Mohamed Aly...*, René Cattaui, vol. I, p. 344, Pezzoni à Nesselrode, Syra, 27 Mai, 1828.

فى احتلال القلعة إلا ليكسبوا صداقة اليونانيين ويتمكنوا من الاحتفاظ ببعض الامتيازات فى الجزيرة(١) .

وظاهر أن الحلفاء الثلاثة كانوا يرون عدم ترك الجزيرة قبل أن يجلو الأتراك عن الممتلكات الأخرى التى أصبحت أجزاء مقسمة لبلاد اليونان المستقلة ، ويرون أن الجزيرة من متممات المملكة اليونانية(٢) فاستدعى محمد على قنصل فرنسا فى مصر وبين له الخطر المحقق فى بقاء تلك القوات فى الجزيرة ، إذ أنه اليوم السبب الوحيد الذى عطل استقرار الأمور فى جزيرة كريت(٣) كما أوضح بوغوص بك فى إعلان وجهه إلى ممثلى الدول المتحالفة الثلاث مايمكن أن يترتب على بقاء قواتهم فى « كرابوزا » من الفوضى والاضطراب وأهاب بها بأن تجلو عن القلعة . فليس يرضيها أن يتعرض سكان الجزيرة للأذى بسبب بقاء تلك القوات فيها ، وليس يرضيهم أن يشتد القلق باليونانيين حتى يفقدوا الأمل فى الهدوء والطمأنينة(٤) وواضح أن الحصار الذى ضربه الحلفاء حول الجزيرة وبقاءهم فى قلعة « كرابوزا » بعد فك الحصار قد شجعا اليونانيين من أهل كريت على الخروج على النظام الذى أراده محمد على فى الجزيرة وباتوا يحتمون فى ظل أعلام الدول الثلاث وينكرون الحكم المصرى وينكرون السلطة التى آلت إلى واليها من لدن السلطان(٥) .

وبات أمر « كرابوزا » يقلق بال محمد على ، فأخذ يبذل ماملك يومئذ من جهد فى العمل بكافة الوسائل على تخليص الحصن من أيدى القوات المحتلة الثلاث ،

---

(١) G. Douin, *L'Egypte de* 1828-1830, pp. 297-298, Mimaut au Comte Molé, Alex. 31 Oct. 1831.

(٢) *Ibid.*, p. 301, Ministre des Affaires Etrangères à Mimaut, Paris, 4 Novembre 1830.

(٣) *Ibid.*, p. 305, Mimaut au Maréchal Marquis Maison, Alex. 15 Nov. 1830.

(٤) *Ibid.*, pp. 308-309, Note de Boghos Youssef aux Consuls Généraux des Trois Puissances Alliées, Alex. 12 Nov. 1830.

(٥) *Le Règne de Mohamed Aly...*, vol. I, pp. 394-395, Pezzoni à Ruckman, Péra de Constantinople, 30 Decembre 1830.

ومن ذلك أنه بادر بعد اتصاله بقنصل فرنسا وبعد اتصاله بممثلى الدول الثلاث عن طريق يوغوص بك بوضع البارجة المصرية « التمساح » فى خدمة القناصل الثلاثة (فرنسا — انجلترا — روسيا) وكان يمثل الأخيرة النمسوى (Schutz) لتحمل رسائلهم ومذكراتهم إلى أمراء القوى البحرية الثلاث الموجودة يومئذ فى اليونان. كما أصدر أوامره إلى ربان البارجة بالتوجه إلى ثغر طولون لتقديم المذكرة المشار إليها إلى وزارء خارجية الدول الثلاث وذلك فى حالة الإخفاق فى التفاهم عن طريق أمراء القوات البحرية(١) .

وقد أوضح قنصل فرنسا أن الدول الثلاث لم تفعل ما فعلت إلا لتجبر الأتراك على الجلاء عن جزيرة « نيجروبون » Negropont ولتزيل ما بقى لدى اليونانيين بالجزيرة من أوهام وآمال فى الانضمام إلى بقية اليونانيين فى بلاد اليونان وآية ذلك أن يخضعوا لقرارات معاهدة لندن ١٨٣٠ التى فصلتهم عن المملكة اليونانية وكان ذلك — فى رأيه — خيراً لمحمد على ، إذ قد عافاه من التورط فى وزر من أوزار التاريخ يوم يحمله تهمة الغدر وعدم الوفاء بالعهد فهو قد قدم من الوعود والنوايا الطيبة ما لم يكن له قبل بتنفيذه ، إذا ما هو أقدم على استرداد الحصن عن طريق القتال(٢) .

ونجح محمد على فى مسلكه السياسى حين تم الاتفاق بين الدول الثلاث على تسليم حصن « كرابوزا » للقوات المصرية(٣) وصدرت الأوامر بالفعل إلى القائد الروسى المقيم يومئذ فى « سوده » حكمداراً « لكرابوزا » بإخلائها والرحيل عنها بعد تسليمها لقائد القوات المصرية . وذلك فى بداية عام ١٨٣١(٤) .

---

(١) *Le Règne de Mohamed Aly...*, vol. I, p. 395, Pezzoni à Ruckman 3 Decembre 1830.

(٢) G. Douin, *op.cit.*, pp. 309-310 (Annexe II), Réponse de Mimaut à Boghos Youssef, Alex. 13 Nov., 1830 : "The Possession of this Fort by the Allies will be in fact a guarantee".

(٣) *Ibid.*, pp. 317-318, Mimaut à Sebastiani, Alex. 10 Decembre 1830.

(٤) دفتر ٤٠ معية تركى ، مكاتبة ٦٠٨ ، من الجناب العالى إلى القائمقام الصدارة فى ٦ رمضان ١٢٤٦ (١٨ فبراير ١٨٣١) .

حال الجزيرة قبل تنفيذ معاهدة لندن ١٨٣٠ :

كان الاضطراب يسود أنحاء الجزيرة والفتن تفشى حياتها من أقصاها إلى أقصاها وكان القلق يملأ نفوس السكان والشعور بعدم الاستقرار يهزهم هزا . كان عليهم أن يحموا أنفسهم من خطرين عظيمين ، عليهم أن يحموا أنفسهم من عدوان الأتراك ثم من عدوان مواطنيهم القادرين من أهل اسفاكية. يدخرون لذلك كل ما كان لديهم من سلاح بغية الدفاع عن أنفسهم وليس أدل على تخوفهم يومئذ من تلك الوفود التى كانت تتسلل منهم لوذا إلى بلاد اليونان يصفون للمسئولين ما هم فيه من سوء الحال وليستصرخونهم للنجدة ومن ذلك الوفد الذى قصد إلى « نوبلى » عندما بعث « كابود يستريا » بمذكرته إلى الحلفاء عام ١٨٢٩ يستعرض فيها أحوال الجزيرة ويحذر فيها من مصيرها ومصيرساموس إذا هما سلختا من كيان بلادااليونان . ولقد زودأول الأمرذلك الوفد المشار إليه عند عودته بأحد المواطنين من ذوى المكانة اليونانية يدعى Renieri « رينيرى » ليعمل على إصلاح ذات البين وتقريب وجهات النظر بين أهل الجزيرة بغية تجنيب الجزيرة شرور الحروب الأهلية وحوادث السطو المتكررة وليستطيع على ضوء مايرى تقديم تقرير مفصل لحكومة بلاده(١) .

وليس عجيباً أن تصل أحوال الجزيرة يومئذ إلى ماوصلت إليه من سوء وأن يعم ربوعها البؤس وتكثر فيها حوادث السطو والإغتيال ، فالقوات المرابطة بالجزيرة لاتكفى لضبط أمور الأمن وإقرار السلام فى ربوعها والقلق الذى يملأ نفوس الناس ويجعلهم حيرى لايدرون ماسوف يتخذ الحلفاء فى تحديد مصيرهم من قرار .

وكانت أكثر بقاع الجزيرة قلقاً وأشدها اضطراباً إقليم قندية ، وذلك لأن حاكمه يومئذ وهو سليمان باشا لم يكن يملك من الوسائل ما يمكنه من إطفاء نيران

(١) P.R.O., F.O., 78/189 (London) Copie, Note sur la Candie et Samos, 17/29 Decembre 1829, by count Capodistrias, enclosure in a letter of the 5th Feb. 1830 (No. 7).

الفتن والقضاء على مثيريها[١] وظاهر أن سليمان باشا لم يكن بعد هذا كله بالرجل البعيد النظر فى تصرفاته فهو حين يعتقل ستة من الزعماء اليونان من أهل الجزيرة ثم لا يلبث أن يتسرع فى إصدار الأمر بإعدامهم فى أول عام ١٨٣٠ يتيح بذلك لمواطنيه الأتراك أن يتمادوا فى الإساءة إلى المواطنين اليونانيين ، ويكون من نتائج ذلك أن تضطرب الأمور وتسود الفوضى فى إقليم قندية ، ومن مظاهر ذلك أن تنطلق عصابة من الأتراك قوامها خمسون ومائة رجل فتعيث فى القرى المجاورة وتسوق منها سبعين سبية من نساء اليونانيين ومائة رأس من الغنم[٢] وأن تقع مصادمات بين اليونانيين والأتراك من سكان الجزيرة بين ٢٤ مارس وأوائل أبريل فى نواحى « سوده » حين ينزل حوالى ثلثمائة من اليونانيين والأتراك من الجبال فى نواحى « سلين » Salines يقودهم أربعون فارساً للاستيلاء على قطيع من الغنم لبعض الخاصة من الأتراك . وكان من نتائج ذلك أن يخسر الفريقان عدداً من الضحايا علاوة على الجرحى ويزداد الاضطراب حين تتكرر حوادث الصدام والقتال بين المسلمين والمسيحيين ومنها الحادث الذى وقع فى ٢٨ أبريل عام ١٨٣٠ فى سهل « مسارا » Messara فيروح ضحيته عدد كبير من الفريقين .

ولولا وجود مصطفى باشا رئيس القوات المحاربة فى الجزيرة ولولا ما اتصف به الرجل من الحكمة والاعتدال والتروى لتبدل الحال غير الحال وساء المآل . فلقد ساد باقى أنحاء الجزيرة بين يديه هدوء نسبى ، ووضعت « رسمو » تحت إشرافه ، على أن ما كان بين يديه يومئذ من قوات لم يمكنه من مساعدة سليمان باشا[٣] .

---

(١) تبين ذلك من كتابه إلى الجناب العالى يطلب مدداً من العساكر والمهمات ليتمكن من إخماد الفتن التى أثارها بعض الذميين الذين يتظاهرون بالولاء والطاعة ثم يحاولون اقتحام قلعة « رسمو » (دفتر ٤٠ معية تركى ، وثيقة ٢١٣ ، من الجناب العالى إلى مصطفى باشا فى ١٩ من ربيع الأول عام ١٢٤٥ (٩ سبتمبر ١٨٢٩) .

(٢) Aff. Etr., Corr. Pol., Turquie, 253, La Canée, 5 Mars 1830 Gaspary au Ministre (Archives de Quai d'Orsay, Paris).

(٣) Aff. Etr., Corr. Pol., Turquie, 253, La Canée, 3 Avril 1830 Gaspary au Ministre (Paris.)

معاهدة لندن وصدى أخبارها فى الجزيرة :

عندما أقرت الدول المتحالفة الثلاث بقاء الجزيرة تحت لواء العثمانيين ، بادرت بإرسال مبعوثها الفرنسى « بيرونيـل » Peyronnel إليها ليبلغ من فيها من الباشوات وربابنة السفن بما اتفقت عليه تلك الدول فى ٣ من فبراير ١٨٣٠[٣] .

ولقد كان لهذا النبأ أبلغ الأثر فى نفس مصطفى باشا ، إذ كان يرى فيه حلاً لمشكلة الجزيرة التى بقيت معقدة بين يديه بعض الوقت وخـلاصاً لنفوس أهل الجزيرة من القلق الذى يزعجهم دهراً إلا أنه كان يرى أن توكيـد الأمن ونشر السلام وإعادة الاستقرار لن يتم إلا بتعزيز القوات المرابطة فى الجزيرة ، يستعين بها على حماية اليونان من عدوان الأتراك ، وإغارة الإسفاكيين الذين دأبوا على إثارة الشغب حتى بات أمرهم خطراً على حياة السكان .

وصدق تقرير الرجل فلم يلبث الإسفاكيون حتى تظاهروا معلنين استياءهم من بقاء الجزيرة تحت رعاية العثمانيين وأعلنوا ذلك فى التماس يحمل توقيع مائة وخمسين من رجالهم تقدموا به إلى الدول المتحالفة يلحون فى إعادة النظر فى تقرير مصير الجزيرة ولم يكن الحلفاء بغافلين عن احتمال وقوع هـذه المقاومة ، فبادروا بإرسال مبعوثين إلى الجزيرة أحدهما روسى والآخر فرنسى يحملان رسالة لتطييب خواطر اليونانيين وتطمينهم على مصيرهم وضمان حقوقهم . واتصلا بقنصل فرنسا فى الجزيرة وكان يدعى « جسبارى » Gaspary فهيأ لهما الاجتماع بعدد كبير من اليونانيين ومن بينهم فريق من أهل إسفاكيـة ، وهنالك نودى بإعلان الهدنة بين الأتراك واليونانيين إلا أن اليونانيين لم يطمئنوا لهـذا الإعلان بل رفضوا الموافقة على الهدنة إلى أن يصدر بذلك قرار من مجلسهم الذى كان ينعقد يومئذ فى « بالى » Balli و بعد مناقشات وجدال طويلين أصـدر المجلس قراره

---

(١) أنظر فى نصوص بروتوكول ٣ فبراير ١٨٣٠ فى
E. Driault & M. L'Heretier, Vol. I, pp. 462-465.

بقبول مبدأ الهدنة وذلك إلى أن يصله رد القسطنطينية على ملتمس الإسفاكيين فى انضمامهم إلى بلاد اليونان مؤكدين أنهم يؤثرون الفناء على البقاء تحت راية العثمانيين . واستمرت الاغتيالات والمذابح بين الفريقين على الرغم من الهدنة وعلى الرغم من التوصيات التى قام بها مبعوثو فرنسا وروسيا وانجلترا ومن يمثلهم فى الجزيرة . وظاهر من هذا كله أن هدوء الأحوال فى الجزيرة إنما كان يقتضى وجود بعض القوات التركية أو المصرية(١) .

فهناك الإسفاكيون مازالوا يصرون على الانضمام إلى اليونان ولا يظهرون استعداداً لقبول المفاوضة ، وهذا زعيم لهم يقال له « كناريس » Canaris يتحصن بقلعة « كرابوزا » ويرفض تسليمها على الرغم من توصيات الدول المتحالفة(٢) التى باتت تطمئن الكريتيين على مصيرهم مؤكدة لهم بأنها تقدمت بمذكرة إلى الباب العالى فى أبريل ١٨٣٠ مظهرة فيها حرصها الشديد على أن يؤخذ فى الاعتبار ضمان رفاهية الكريتيين وجاعلة من نفسها قيما على هذا الضمان(٣) . وقد كان لهذا الضمان أثره فى تمرد الكريتيين وظهر بوضوح فى ثورة مورنيس (١٨٣٣)(٤) وليس من شك فى أن الكريتيين لم يكونوا قادرين على العصيان دون الاعتماد على تأييد الدول المتحالفة من ناحية وعلى المملكة اليونانية التى مالوا إليها ، واتخذوا من أرضها مثابة وأمناً .

إصرار العثمانيين على الاحتفاظ بكريت :

وليس عجيباً أن يصر العثمانيون على الاحتفاظ بالجزيرة فقد كانت قاعدتهم البحرية فى بحر إيجه ومن أهم النقط الاستراتيجية فى البحر المتوسط كله . كما أن

---

(١) Aff. Etr., Corr. Pol., Turquie, Gaspary au Ministre, Canée, 16 Juillet, 1830.

(٢) Driault & l'Hérétier, *Histoire Diplomatique de la Grèce*, vol. II, p. 39.

(٣) أنظر ماتقدم ص ٧٣ .

(٤) أنظر « فتنة مورنيس ١٨٣٣ » (ملحق ٤) .

غزوهم إياها قبل قرنين من السنين قد كلفهم كثيراً من البـذل والإنفاق ومن الوقت أيضاً ، ويكفى أن نذكر أن العثمانيين قد أنفقوا فى حصار هـذه الجزيرة خمسة وعشرين عاماً ، وفقـدوا خلال ذلك من الأنفس مائة ألف ، ثم أن لهم فى سكان الجزيرة من المسلمين ما يقرب من النصف ويمتلكون من أرضها ما يربو على النصف(١) .

محمد على يرقب سير الأمور فى الجزيرة ويتطلع إلى حكمها :

أرسل سليمان باشا محافظ الجزيرة إلى محمد على يستنجد به ويطلب مدداً من الجند والعتاد والزاد ليتمكن من صد غارات الثوار التى توالت على القرى المحيطة بقندية مما اضطر أهلها إلى الفرار فلاذ ألف منهم بالقلعـة للخلاص بأرواحهم ، وذاع الرعب فى النفوس واضطرب أمر الجند فى « قندية » و « خانية » وغيرها من قلاع الجزيرة . وجاءت نجدة قوامها عشرة آلاف من الجند وعبئت المدافع فى الحصون والقلاع استعداداً لقمع الثورة وإخماد الفتنة التى باتت أحداثها تنذر بإشعال النار فى كافة أنحاء الجزيرة ، وحتى بات من المحتمل أن يتحول ميـدان القتال من المورة إلى كريت ، ولم يكن مستبعداً — لو تم ذلك أن يفقد العثمانيون جزيرة كريت ، فقد كان الثوار فيها يعتمدون على تأييد الدول المتحالفة يبعثون إليها بشكواهم وينتظرون منها العون والمظاهرة(٢) .

وفى غضون هذه الأحداث يتطلع محمد على إلى حكم الجزيرة ، فينتهز الفرصة ليـكتب إلى الجناب العالى ، شارحاً أحوال الجزيرة واضطراب أمورها ، ومبدياً للباب العالى خطورة الأمر ومغبة عواقبه مصوباً آراء محافظها سليمان باشا من حيث

---

(١) Driault & l'Hérétier, vol. II, pp. 35-37.

(٢) دفتر ٤٠ معيه تركى ، وثيقة ٣٩٣ من الجناب العالى إلى القبو كتخدا ، محرم ١٢٤٦ (٢٩ يونية ١٨٣٠) .

الحاجة الملحة إلى توفير الجند والعتاد فى كافة أنحاء الجزيرة المترامية الأطراف ، ومبدياً للسلطان مخاوفه من الإبطاء فى تدارك الأمر فى الجزيرة خشية تدخل الدول الأوربية المتحالفة بحجة تهدئة الأحوال وبذلك يتحول الحال ويسوء المآل ويفقد الباب العالى جزيرة كريت ثم يختتم رسالته برجاء الباب العالى فى أن يعهد إليه بإدارة الجزيرة لقربها من مصر من ناحية ولثقته بإمكان السيطرة عليها وحمايتها والاحتفاظ بها حقاً خالصاً للسلطان من ناحية أخرى(١) .

ولم يلبث السلطان حتى عهد إلى محمد على بحكم الجزيرة والسيطرة على إدارتها(٢) وهكذا آلت كريت إلى محمد على بالفرمان السلطانى الذى مر ذكره مقابل ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ قرشاً يقدمها إلى السلطان فى كل عام(٣) .

---

(١) دفتر ٤٠ معية تركى ، وثيقة ٤٠٥ ، من الجناب العالى إلى الباب العالى ، ١٠ صفر ١٢٤٦ (٣١ يوليو ١٨٣٠) ، أنظر نص الوثيقة فى ملحق (١)

(وظاهر من هذا كله أن الباب العالى لم يسلم زمام الجزيرة إلى محمد على مكافأة له على خدماته وحسب ؛ بل فعل ذلك مضطراً لأنه يخشى أن يفقدها . فلم يكد يتلقى عرض محمد على حتى قبله وكان محمد على ماهراً وكان عرضه مغرياً حين بين للباب أن الجزيرة واقعة فى أحشاء بلاد اليونان ، وأن الإبقاء عليها فى حوزة السلطان قد يحولها إلى طعم ربما يمكن السلطان من إرجاعها إلى حوزته) .

(٢) فرمان الخميس ٢٠ ربيع الأول ١٢٤٦ (٨ سبتمبر ١٨٣٠) وفيه يقرر السلطان عهده إلى محمد على بحكم كريت ابتداء من ٢٧ صفر ١٢٤٦ (١٧ أغسطس ١٨٣٠) .

Le Règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes, vol. I, pp. 384-385.

(٣) A. Softazadé, p. 39.